تجليات الإيتوس الحجاجي في رواية (الزنجية) لعائشة بنور

نورة بنت عبد الله بن إبراهيم العمر
أستاذ الأدب والنقد المساعد - جامعة الملك سعود - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قسم اللغة العربية - المملكة العربية السعودية- الرياض

(**تاريخ الاستلام:** 06-10-2025؛ **تاريخ القبول:** 17-12-2025)

مستخلص البحث: يسعى هذا البحث إلى استجلاء إيتوس (بلانكا) – بطلة رواية "الزنجية" – بوصفه استراتيجية فاعلة في تأكيد المكانة وتحقيق القبول والانتماء، وذلك من خلال دراسة الإيتوس القبلي متجليًا في صورة الزنجية في العقل الجمعي، وهي الصورة التي تشكلت عبر حياتها ومكانتها، بالإضافة إلى دراسة الإيتوس الخطابي كما رسمته الرواية، إذ تنسجم الصورتان وتتكاملان، فتجيب إحداهما الأخرى. فسواد (بلانكا) وعبوديتها ومعاناتها وهجرتها تمثل ركائز أصيلة في فاعلية خطابها وقبوله، وهي بذلك تعتمد على حجتي القوة والقيم بالتناوب، ساعيةً إلى الإخضاع والتسليم حينًا، وإلى الإقناع والقبول حينًا آخر. وفي المجمل، تُعد رواية "الزنجية" مثالًا بارزًا على توظيف الإيتوس في الأدب، وعلى تأكيد صوت المرأة الزنجية كفاعل اجتماعي وثقافي، وكشف آليات التهميش ومقاومتها عبر السرد.

الكلمات المفتاحية: الإيتوس القبلي- الإيتوس الخطابي- الزنوجة – الإقناع – التأثير.

***

Manifestations of argumentative ethos in aicha bennour's (al-zanijiyyah)

Norah abdullah Ibrahim alomar
Assistant professor of literature and criticism - King saud university- College of humanities and social science-department of Arabic language - Kingdom of Saudi Arabia - Riyadh

(**Received:** 06-10-2025; **Accepted**: 12-17-2025)

Abstract: This study seeks to elucidate the ethos of Blanca—the protagonist of the novel "Al-Zanjiyyah" (The Black Woman)—as an effective strategy for affirming status, achieving acceptance, and establishing belonging. This is accomplished through examining the tribal ethos as manifested in the collective perception of the Black woman, a perception shaped by Blanca's life experiences and social position. The study also explores the rhetorical ethos as depicted in the novel, where both images harmonize and complement one another, each reinforcing the other.
Blanca's Blackness, enslavement, suffering, and migration constitute foundational pillars in the effectiveness and acceptance of her discourse. She alternates between appeals to power and appeals to values—at times seeking submission and compliance, and at other times persuasion and acceptance. Overall, "Al-Zanjiyyah" stands as a prominent example of the employment of ethos in literature, affirming the voice of the Black woman as a social and cultural agent, and revealing mechanisms of marginalization and their resistance through narrative..

Keywords: Tribal ethos – Rhetorical ethos – Black identity – Persuasion – Influence.

(*) للمراسلة:
نورة بنت عبد الله بن إبراهيم العمر
أستاذ الأدب والنقد المساعد - جامعة الملك سعود، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، الرياض

البريد الالكتروني:
noralomar@ksu.edu.sa

(*) **Corresponding Author**:
Norah abdullah Ibrahim alomar
Assistant professor of literature and criticism King saud university, College of humanities and social science-department of Arabic language - Kingdom of Saudi Arabia - Riyadh

E-mail: noralomar@ksu.edu.sa

DOI: 10.12816/0062475

1 المقدمة:

يُعَدّ الإيتوس (Ethos) الحِجاجي من المفاهيم البلاغية التي حظيت باهتمام الباحثين منذ القدم، إذ شكّل موضوعًا محوريًا في مختلف المجالات. وتتمحور هذه الدراسة حول تحليل الأثر الإقناعي الذي يُحدثه الخطيب في المتلقي بالتركيز على الوظيفة الحِجاجية للإيتوس (العنصر الأساسي في بناء المصداقية الخطابية)، ويعنى – لأجل تحقيق الإقناع – بكيفية جعلِ الخطابِ الجمهورَ يثق به ويصدقه وينجذب إلى الحجج المعروضة، ويتمظهر فيه الطابع البلاغي الكلاسيكي والجديد.

الإيتوس الحجاجي من أبرز الوسائل الحجاجية للمتكلم أثناء مخاطبته الجمهور، والحجاجية الكامنة في تشكيل المتكلم صورة ذاتية خطابية موثوقة له وكيفية عرضها وتمثلها داخل الخطاب أكثر قيمة وتأثيرا من الحجج الموضوعية المتينة التي يطرحها المتكلم (قدرته على إقناع المتلقي بقوة الفكرة ووجاهة الحجة).

1-1 أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في استكشاف الوظيفة الحجاجية للإيتوس في بناء المصداقية الخطابية، إذ يُعد الإيتوس من أبرز الوسائل التي يوظفها المتكلم لإقناع المتلقي لتشكيله صورة ذاتية موثوقة داخل الخطاب. ويبرز البحث كيف تتداخل البلاغتان الكلاسيكية والجديدة في خدمة قضايا الهوية والمعاناة، وكيف يُسهم الإيتوس في تمكين الصوت المهمش وتعزيز الأثر الإقناعي للنص الروائي.

1-2 أهداف البحث:

يهدف البحث إلى استكشاف تجليات الإيتوس الحجاجي في رواية الزنجية للروائية الجزائرية المعاصرة عائشة بنور، من خلال مجموعة من الأهداف، أبرزها:

1. توضيح مفهوم الإيتوس الحجاجي.
2. رصد تجليات الإيتوس القبلي في رواية الزنجية لعائشة بنور.
3. تحليل بروز الإيتوس الخطابي في رواية الزنجية لعائشة بنور.
4. الكشف عن تمظهرات الأنساق الثقافية في رواية الزنجية، وأثرها في البناء الحجاجي.

تقتضي هذه الأهداف تبسيط مفهوم الإيتوس الحجاجي، ثم الكشف عن مختلف تجلياته في النص الروائي.

1-3 الدراسات السابقة:

إذا كانت الدراسات التي تعنى برواية الزنجية كثيرة فإنه – في حدود علمي - لم تنفرد دراسة متخصصة في البحث عن الإيتوس الحجاجي في الرواية ودراستها من منظور الإيتوس الحجاجي، وأهم الدراسات السابقة التي قاربت هذا الموضوع ركزت معظمها على الإيتوس الحجاجي بعيدا عن رواية الزنجية موضوع الدراسة، أو على رواية الزنجية بعيدا عن الإيتوس الحجاجي، وفيما يخص أهم الدراسات السابقة التي قاربت هذا الموضوع فقد رصدت الدراسات التالية:

- رسالة ماجستير موسومة بـ (صورة المرأة في رواية "الزنجية" لعائشة بنور)، للطالبتين: نهاد جابر، وزعرة عبان، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2021-2022م، وكان صلب الرسالة يدور حول الكشف عن الصورة السلبية والإيجابية للمرأة وكيف تجسدت في رواية الزنجية لعائشة بنور، ولم تتطرق إلى الإيتوس الحجاجي بأي شكل من الأشكال.
- بحث علمي موسوم بـ (قضية الزنوجة وسؤال الأنساق الثقافية في النص الروائي الجزائري المعاصر رواية "الزنجية" لعائشة بنور أنموذجًا) لنعيمة بلي، منشور بمجلة الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق يحيى، المجلد 11، العدد 2، 2021م، وقد درست فيه الباحثة عن بعض الأنساق الثقافية في الرواية الإفريقية، تحديدا في رواية "الزنجية" وسعت إلى الكشف عن عوامل هذا النص الإفريقي الزنجي، وما يحمله من أبعاد وحمولات ثقافية، لكنَّ هذا البحث توسع في الأنساق الثقافية وهذا جانب من جوانب الاختلاف بين البحثين.
- بحث علمي موسوم بـ (محنة الذات وتجلياتها في رواية الزنجية لعائشة بنور) لوليد عثماني، منشور بمجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة سطيف في الجزائر، المجلد 6، العدد 1، مارس 2023م، وقد درس الباحث المسكوت عنه والهامشي في ظل صراع الهويات وتضاربها، وصراع تحقيق الذات وانتصارها على الوجودية المشوهة، ومستويات الحياة الاجتماعية والنفسية للإنسان من خلال رصد مواطن تسريد الألم في رواية "الزنجية" وتتبعه لمواضع الوجع وأسبابه كالزنوجة وغيرها، لكنه لم يمارس الإيتوس الحجاجي مثلما يطرحه هذا البحث.

1-4 منهج البحث:

سار البحث على منهجين: الوصفي والتحليلي، إذ يقوم بوصف مفهوم الإيتوس الحجاجي بتوضيح مرتكزاته النظرية، ثم يعرج إلى تحليل تجلياته في رواية (الزنجية) لعائشة بنور، سواء في صورته القبلية المرتبطة بالهوية والانتماء، أو صورته الخطابية التي تظهر من خلال الشخصيات والمواقف السردية. بما يحقق قراءة متوازنة تجمع بين الوصف والتحليل.

1-5 تساؤلات البحث:

1. ما هو الإيتوس الحجاجي؟
2. كيف يتجلى الإيتوس القبلي في رواية الزنجية؟
3. كيف برز الإيتوس الخطابي في رواية الزنجية؟

4. ما هي تمظهرات الأنساق الثقافية في رواية الزنجية؟

وللإجابة عن التساؤلات التي يطرحها البحث، واستنادًا إلى ما سبق، سنعرض هذا البحث في جانبين:

الأول: تبسيط مفهوم الإيتوس الحجاجي.

الثاني: كشف مختلف تجليات الإيتوس الحجاجي في النص الروائي، وتناول رواية الزنجية للروائية الجزائرية المعاصرة عائشة بنور[1] أنموذجًا، وكيف برز فيها، وتمظهرات الأنساق الثقافية فيها.

2 التمهيد:

الإيتوس الحجاجي يعد ركيزة أساسية في البلاغة الإقناعية التي تقوم على المصداقية والتأثير، وهو بمثابة المنظومة القيمية والأخلاقية التي تسعف الخطيب في إقناع المخاطب والتأثير فيه. ولفهم الإيتوس، سأذكرُ بعض تعريفات العلماء على سبيلِ الذكرِ لا الحصر، وسأعمد إلى تحليل مكوناته الأساسية، وتحديد أهدافه ومراميه الحجاجية، فضلا عن استعراض أنماطه الحجاجية المختلفة. وتطبيقه على نماذج مختارة من رواية (الزنجية)[2] لعائشة بنور، التي تتيح تمثلات متعددة للإيتوس عبر شخصياتها ومواقفها السردية.

مفهوم الإيتوس الحجاجي:

الإيتوس عند أرسطو يحيل إلى أخلاق الخطيب[3]، ووضح أرسطو المقصود بأخلاق الخطيب، قائلًا: "ولا بد للخطيب أن يتحلى بثلاث خصال كيما يحدث الإقناع؛ لأنه بصرف النظر عن البراهين، فإن الأمور التي تؤدي إلى الاعتقاد ثلاثة. وهذه الخصال هي اللبّ، والفضيلة، والبرّ؛ لأن الخطباء إنما يخطئون بينما يقولون، وفي النصيحة التي يسدونها إذا فقدوا هذه الخصال الثلاث كلها أو واحدة منها؛ فإنهم إذا فقدوا اللب كانت ظنونهم فاسدة. وآراؤهم غير سديدة، وإذا كان آراؤهم صحيحة فإن شرارتهم تحملهم على ألا يقولوا ما يعتقدون، أو إذا كانوا ذوي لبّ وخير؛ فإنه قد يعوزهم البرّ، ومن هنا فقد يحدث ألا يسدوا خير النصائح، رغم أنهم يعرفونها. وهذه الخصال هي كل الخصال الضرورية، حتى إن الخطيب الذي يبدو أنه يمتلك هذه الخصال الثلاث سيقنع سامعيه لا محالة، والوسائل التي بها قد يبدو لبيبا وخيّرا ينبغي أن تستخلص من تصنيف الفضائل؛ لأنه لكي يظهر على هذا النحو فعليه أن يستعمل نفس الوسائل التي يستعملها في حالة الآخرين."[4]

ويجدر الإشارة إلى أن أرسطو قد ميّز بين ثلاث مستويات للحجاج هي الإيتوس (Ethos)، واللوغوس (Logos)، والباطوس (Pathos)، وذلك في صلتها بأسس الخطاب الثلاثة من خطيب، ومستمع، وخطاب. فالإيتوس يقوم بتوصيف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب، والصورة التي يقدمها عن نفسه، أما الباتوس فيتمثل في مجموعة انفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى مستمعيه (رحمة، كراهية، غضب، خوف...)، أي: توظيف كل ما من شأنه أن يحرك مشاعر المتلقي وميوله، وبالنسبة للوغوس فيعكس الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، ويرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي.[5]

وحسب أرسطو، يعد الإيتوس أحد أهم الحجج التي تحقق الإقناع إلى جانب كل من اللوغوس، والباتوس، فكما يقنع الخطيب مخاطبيه من خلال توظيف أصناف متعددة ومختلفة من الحجج اللغوية، ومن خلال مخاطبة مشاعرهم والتوجه إلى عواطفهم، فإنه يقنعهم كذلك بفضل أخلاقه، وثقة الناس فيه، والمصداقية التي يحظى بها عند العامة، والانطباع الذي يشكله الناس حوله،[6] وبهذا، يمكن القول إن الإيتوس هو قلب البلاغة الحجاجية، لأنه يحدد مدى قبول الجمهور للخطاب، ويمنح اللوغوس والباتوس فعاليتهما.

وبهذا، فالإيتوس مصطلح مأخوذ من الخطابة القديمة ويعني صورة ذات المتكلم التي يبنيها داخل نصه الخطابي ليرسخ تأثيرًا في المخاطب،[7]وليست مجرد مظهر، بل هي من أهم استراتيجيات الإقناع أثرًا في العملية الحجاجية التي يُكسب بها المتكلم خطابه شرعية وجدانية ومنطقية بوصفه أهلًا للثقة والتقدير.[8]

بحسب تصور أرسطو، فالإيتوس أداة حجاجية لا تُفرض على الخطاب من خارجه، بل تنشأ في داخله ومن خلاله فهو الصورة الذاتية المتخيلة للمتكلم التي تتكون أثناء عملية الخطاب ذاتها ويريد أن يراه المتلقون بها ليترك انطباعًا حسنًا ويجعلها عنصرًا أصيلًا في بنية الإقناع، وهو "سمات الشخصية التي ينبغي للخطيب أن يظهر بها أمام السامعين؛ ليترك انطباعًا حسنًا، ومعنى

(1) عائشة بنور هي روائية وكاتبة صحفية جزائرية، ألفت العديد من الكتب والروايات، أبرزها: "نساء يعتنقن الإسلام: "المرأة الجزائرية وثورة التحرير نضال وحرية،" ورواية "السوط والصدى"، "اعترافات امرأة"، "سقوط فارس الأحلام"، "نساء في الجحيم" التي ترجمت إلى الإنجليزية، بالإضافة إلى مجموعات قصصية، ومقالات صحفية وأدبية نشرت في مجلات وصحف جزائرية وعربية، حازت على العديد من الجوائز والتكريمات، تهتم عائشة بنور بقضايا المرأة والطفل، وتتناول موضوعات الحرية، النضال، والهوية. تمزج بين الذاكرة الفردية والجماعية، كما في روايتها الأخيرة "ماتر يوشكا – أرواح من قطن.

(2) الزنجية، عائشة بنور، دار ريادة للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1443هـ، 2021م.

(3) فن الخطابة، أرسطو، تح: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ط1، 1979م، ص29

(4) السابق، ص103.

(5) ينظر: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م، ص18.

(6) ينظر: الإيتوس: المفهوم والتحولات، كمال الزماني، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، مراكش، المغرب، ع/9، مج/4، 2021م، ص68.

(7) ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود وآخرون، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2008م، ص230.

(8) ينظر: خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مقاربة بلاغية حجاجية، محمد مشبال، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015م، حاشية ص44.

هـذا أنـه ليـس مهمًـا مـدى صدقها-فهـي مظاهـر- فالأمـر لا يتعلـق إذًا بسـيكولوجية تعبيريـة، بـل بسـيكولوجية متخيلـة، ينبغـي أن يكـون مـا أدل عليـه هـو مـا أريـد أن أظهـر بـه بالنسـبة للآخـر."[1]

وبالتالـي، لا فـرق فـي أثـر الإيتـوس بيـن أن ترسـم صورة الـذات بطابـع ضمنـي خفـي أو بصيغـة جليـة واضحـة؛ فـكلا الأسـلوبين يُسـهمان فـي تشـكيل السـلطة الخطابيـة. وغالبًـا يضطـر المتكلـم -إذا مـا واجـه تشـكيكًا خارجيًـا فـي ذاتـه لكـي يعيـد بنـاء الثقـة بهـا-إلـى التصريـح بجوانـب منهـا. "فالسـياق الحجاجـي يفـرض أحيانًـا علـى المتكلـم أن يتحـدث عـن ذاته أو يصفهـا ويثنـي عليهـا وخاصـة إذا كانـت صورتـه فـي السـياق الخارجـي قـد تعرضـت لمـا يشـكك فـي قيمتهـا"[2] وتعـد روايـة الزنجيـة -ببطلتهـا (بلانـكا)- مثـالًا لمعانـاة المـرأة الزنجيـة مـن التمييـز العنصـري وتدميـر الهويـة وحاجتهـا الماسـة للدفـاع عـن مكانتهـا مـا يدفعهـا إلـى الهـروب مـن واقعهـا الصعـب "فتقديـم الـذات فـي البلاغـة اليونانيـة قـام علـى أسـاس أنـه فعـل تأثيـري، ومشـروع إقناعـي مرتبـط بنجاعـة الخطـاب؛ فالإيتـوس انطلـق مـن مبـدأ أنـه يسـتحيل الإقنـاع دون أن يظهـر الخطيـب منـذ البدايـة فـي صـورة توحـي بالمصداقيـة والثقـة."[3]

يؤكـد أرسـطو أن الخطيـب يُقنـع بجدارتـه الأخلاقيـة إذا عبّـر عـن ذاتـه بطريقـة تبعـث الثقـة لـدى المتلقـي، ويشـترط أن يكـون هـذا الإقنـاع نابعًـا مـن الخطـاب لا مسـتندًا إلـى مـا يُشـاع عـن خلـق الخطيـب قبـل حديثـه.[4]

ومـن هـذا المنطلـق، يفتـرق عـن سـقراط، الـذي يعـدّ الإيتـوس سـمة سـابقة علـى التلفـظ، مرتهنـة بمقومـات فطريـة كالملكـة الخطابيـة والمعرفـة الأخلاقيـة المسـتمدة مـن سـيرة المتكلـم.[5]

إذن، شـهرة الخطيـب بالفضيلـة وحُسـن الخلـق يُعـدّ مؤشـرًا مسـبقًا علـى جـودة الخطيـب فـي الخطاب،[6]ولهـذا يـرى مانغينـو أن البلاغـة الجيـدة تسـتلزم أن يكـون الخطيـب إنسـانًا جيدًا.[7]فالقيـم الأخلاقيـة التـي يتحلـى بهـا، وسـمعته فـي المجتمـع، ومـا يُعـرف عنـه مـن مكانـة، تُعـدّ بمثابـة الحجـة السـابقة علـى القـول التـي تمنـح خطابـه قبـولًا وثقـة لـدى المتلقـي، وتعـزز مصداقيـة مـا يطرحـه مـن أفـكار.

وإن كان البلاغيـون الجـدد كأوليفيـر(oliver) وبـول ((paul وبيرلمـان (Perelman) سـاهموا فـي إحيـاء البلاغـة الجديـدة، وأعـادوا إليهـا بريقهـا ووهجهـا اللذيـن غابـا عنهـا مـدة طويلـة نتيجـة اختزالهـا فـي صـور الأسـلوب، فـإن مـا قدمـوه فـي حقـل الإيتـوس ظـلَّ محـدودًا محتشـمًا لـم يتجـاوز إعـادة تدويـر مفاهيـم قديمـة سـبق أن عرضتهـا البلاغـة الكلاسـيكية. ويؤكـد علـى ذلـك حاتـم عبيـد إذ يقـول: "لـم يحـظ الإيتـوس فـي هـذه المصنفـات (مصنفـات الخطابـة الجديـدة) بوقفـة مطولـة تفتـح السـبيل علـى تقديـم تصـور جديـد لهـذا المفهـوم، وترسـم للدارسـين مسـالك جديـدة فـي توظيفـه."[8] فملاحظـات بيرلمـان وتيتيـكا (Tyteca) كانـت "ملاحظـات عابـرة"[9]، ودراسـة أوليفيـر وبـول للإيتـوس كانـت "دون ذلـك الطمـوح"[10]، أمـا غـارد تامين (Gardes-Tamine) فهـي "تعيـد المعـروف ولا تضيـف إليـه."[11]

وعليـه، يتعلـق الإيتـوس بقيـم الخطيـب وفضائلـه وأخلاقـه التـي يسـتلهمها مـن مصـادر متنوعـة بهـدف التأثيـر فـي الجمهـور وإقناعهـم بوجهـة نظـره التـي يعرضهـا فـي خطابـه السـردي. فالقيـم الأخلاقيـة تتمتـع بحجـة اجتماعيـة نظـرًا لارتباطهـا بالشـرائع والأديـان والعـادات والتقاليـد، كمـا أنهـا تتسـم بالشـمولية والسـمو والطابـع الإنسـاني، ممـا يجعلهـا راسـخة فـي أذهـان النـاس ومعتقداتهـم. وتتميـز هـذه القيـم بالمصداقيـة والقـوة الإقناعيـة، حيـث إن مـن يتحلـى بمهـارات أخلاقيـة وعلميـة يصبـح مؤثـرًا فـي المجتمـع، ويحفـز الآخريـن علـى تقليـده فـي أقوالـه وأفعالـه، ممـا يـؤدي إلـى تبنـي آرائـه واعتبـاره مرجعًـا اجتماعيًـا يُحتـذى بـه.[12]

إذا كانـت اللغـة تمثـل سـلطة؛ فـإن مـا يمنـح هـذه السـلطة فعاليتهـا هـو البعـد الحجاجـي، الـذي يسـتمد قوتـه مـن اسـتعادة مكانـة الـذات المتكلمـة (الكاتب/الخطيـب)، لا مـن الخطـاب نفسـه، الـذي يظـل مجـرد ممـر أو قنـاة انتقـال.[13]

وفـي روايـة (الزنجيـة) سـنجد أنفسـنا أمـام مفهوميـن للإيتـوس، مفهـوم سـقراط الـذي يؤسـس لإيتـوس قبلـي متعـالٍ علـى النـص/ الخطـاب، ينتمـي إلـى أخلاق المتكلـم وسـيرته ومكانتـه الاجتماعيـة، ومفهـوم أرسـطو الـذي يؤسـس لإيتـوس خطابـي يُسـتخلص مـن بنيـة الخطـاب ذاتـه، بمـا يتضمنـه مـن أسـاليب إقنـاع وتمثـيلات للـذات المتكلمـة داخـل النـص/

(1) البلاغة القديمة، رولان بارت، تر: عبد الكريم الشرقاوي، مطبعة النجاح، المغرب، ط1، 1994م، ص68- ص69.
(2) خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مقاربة بلاغية حجاجية،محمد مشبال، ص180.
(3) في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطاب، محمد مشبال، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2018م، ص29- ص30.
(4) ينظر: فن الخطابة، أرسطو، ص29-ص30.
(5) ينظر: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، أمنية الدهري، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2010م، ص92.
(6) السابق، ص92.
(7) ينظر: مشكلات الحجاج بواسطة الإيتوس: من البلاغة إلى تحليل الخطاب، دومينيك ما نجينو، تر: حسن المودن، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، دار كنوز، الأردن، ط2، 2016م، ص769.
(8) في تحليل الخطاب، حاتم عبيد، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، 2013م، ص104.
(9) السابق، ص104.
(10) السابق، ص104.
(11) السابق، ص105.
(12) ينظر: المواضع الحجاجية بين النظرية والتطبيق: نحو مقاربة طوبيقية، جميل حمداوي، دار ركاز للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، 2022م، ص186.
(13) ينظر: الفلسفة والبلاغة: مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، عمارة ناصر، دار الاختلاف العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009م، ص119- ص120.

الخطاب، وستقوم هذه الدراسة على الجمع بين المفهومين؛ مبرزة كيف أن (بلانكا) قد استثمرت معالمهما معًا لخلق صورة ذاتية إقناعية شديدة التأثير، أسهمت في ترسيخ خطابها في المخيلة العربية وتكريس حضورها الرمزي عبر العصور.

وبعد تحديدي مفهوم الإيتوس الحجاجي في البلاغة الكلاسيكية والبلاغة الجديدة مستنيرة بأفكار النقاد سأقتصر على قسمين مستقلين للإيتوس الحجاجي في الرواية.

أولًا: تجليات الإيتوس القبلي في الرواية:

يُقدَّم الإيتوس القبلي عبر صورة (بلانكا) المختزنة في المخيلة الجمعية: امرأة أفريقية سوداء البشرة،[1] تعيش في ظل تقاليد قاسية، تعاني من التهميش والعنف والتمييز داخل مجتمعها وخارجه. وما يمثله انتماؤها العرقي من نظرة دونية في التصور العربي السائد، تبرز (بلانكا) بوصفها صوتًا أنثويًا متمردًا، يواجه واقعًا قاسيًا منذ الطفولة وحتى الهجرة،[2] مرورًا بتجارب مؤلمة بالغة القسوة، كالختان،[3] العنف الجسدي، والعنصرية،[4] فالانطباع الأولي عن (بلانكا) شخصية مكلومة ذات تجربة قاسية يخلق عند القارئ ـ منذ البداية ـ حالة من التعاطف معها ويعزز إيتوسًا قبليًّا قويًّا قائما على المظلومية والبراءة.

واللافت للانتباه، أن البعد الأيديولوجي هو الذي يعطي للقارئ الحرية الكاملة الظاهرة والمضمرة في تعامله مع النصوص، فالقارئ عندما يعود إلى الظروف والأسباب التي دفعت الكاتب لتأليفه الرواية سيفهم ويُشكِّل النص ويكتشف في مكامنه ما لم يكتشفه الكاتب ذاته.

العنوان:

يكشف العنوان مضمون النَّص بتوسع أو اختزال، وعلى هذا النحو قد ينساق القارئ إلى التساؤل التالي: ما علاقة عنوان الرواية (الزنجية) بالنَّص؟ العنوان أشبه ما يكون بالعتبة التي من خلالها نلج إلى أغوار النَّص السردي ونجس به نبضه، وقد يجذب القارئ أو ينفره بوصفه "نصًّا أوليًّا يشير أو يخبر أو يوحي بما سيأتي"[5] وهو المدخل الذي شكل النسيج الحي للرواية، الذي يحمل في طياته إيتوسًا قبليًا يكشف عن صورة نمطية للمرأة السوداء المثقلة بتاريخ طويل من استعباد الإنسان الأبيض واضطهاده وعنفه.

وفي رواية (الزنجية) يعطي العنوان انطباعًا مسبقًا عن مظاهر الظلم والاستبداد المتجلية في الرواية، وهو يمثل صورة عاكسة لأحداث الرواية القاسية المتمثلة في الفقر، والبيئة الصعبة، وختان الإناث، والاغتصاب وغيرها من التجارب المؤلمة. ويختزل العنوان واقعًا مضنيًا تعيشه وتعانيه المرأة في (أفريقيا)، ولا سيما في النيجر التي تشكل فضاء السرد ومسرح الأحداث.[6] ومن ثم يكشف العنوان (الزنجية) منذ لحظته الأولى ملامح المعاناة والأوجاع الموغلة والمتجذرة في التهميش والاستلاب.

الإهداء:

تستهل الروائية عائشة بنور روايتها بإهداء يهدف لإقناع القارئ بوجهة نظرها حول الظلم الاجتماعي والاضطهاد الذي تتعرض له المرأة الزنجية، حيث سلطت الضوء على معاناة المرأة الزنجية في المجتمعات المختلفة، إذ تقول: "**إلى المرأة الإفريقية والآسيوية المهاجرة من عمق البؤس، الباحثة عن الأمن والرغيف. إلى الطفولة المشردة، التي تفتش عن الدفء في زمن الإعصار...**"[7] فهذا الإهداء ما هو إلا تتمة منطقية للعنوان الذي وسمت به الرواية وهو في الغالب يشير إلى الشخصية الرئيسة في الرواية (بلانكا).

ونلحظ اختيار الروائية عائشة بنور عنوان (الزنجية) وكأنها تعلن عن شخصية (بلانكا) وترسخ صورتها كضحية منذ البداية. ويُبنى الإيتوس الحجاجي في الرواية من تقديم (بلانكا) لذاتها وللبيئة التي تعيش فيها، مما يعزز البعد الإقناعي للنص ويكشف عن دلالاته الاجتماعية والإنسانية. حيث تقول: "**هنا الطبيعة قاسية، وفي هذا المكان، ارتبطت ملامحي بأشياء أكثر قسوة، وأشدّها حزنًا. ثمّة أشياء لا يمكن نسيانها أو محوها، ولا أذكر منها إلا أنني سوداء البشرة، فأنا جميلة**[8]". وفي موضع آخر تقول: "**بعد ثلاث وعشرين سنة مازلت بلانكا، الطفلة التي وأدوا أنوثتها ودفنتها معها لحظة صراخها التي انتحبت مع نعيق البوم.**"[9] فتقديم (بلانكا) لذاتها قائم على كونه فعلًا تأثيريًا ومشروعًا إقناعيًا مرتبطًا بنجاعة الخطاب؛ إذ ينبني الإيتوس القبلي على أنه يستحيل الإقناع دون أن يُظهر الخطيب صورته منذ البداية بصورة توحي بالثقة وتحظى بالمصداقية لدى المتلقي. "إن الخطاب الإقناعي لا يؤثر في السامع بالحجج العقلية أو بتحريك أهوائه فقط، ولكنه يؤثر أيضًا بتقديمه لذاته في صورة قابلة للإيحاء بالثقة."[10] إذًا،

(1) ينظر: الزنجية، عائشة بنور، دار ريادة للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1443هـ، 2021م، ص11.
(2) السابق، ص13.
(3) السابق، ص19.
(4) السابق، ص20.
(5) سيمياء العنوان، بسام موسى قطوس، وزارة الثقافة، الأردن، ط1، 2001م، ص53.
(6) ينظر: الزنجية، عائشة بنور، ص12.
(7) السابق، ص10.
(8) السابق، ص11.
(9) السابق، ص26.
(10) في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطاب، محمد مشبال، ص175.

تعرفنا الكاتبة بشخصية (بلانكا)، وتقدمها من خلال بيئتها التي تعيش فيها، وملامحها، وأعمالها وسلوكاتها.

بطلة الرواية (بلانكا):

اسم (بلانكا) يحمل مفارقة دلالية تشي بصراع خفي بين اسمها وهويتها؛ فهي سوداء البشرة، ولكنها تحمل اسمًا لاتينيًا يعني "البيضاء الشقراء"، وانطلاقًا من جذورها الإفريقية، خاصة في النيجر، تكتمل ثنائية السواد في ملامحها وشعرها، إلا أن هذا السواد لا يقتصر على ظاهرها، بل يتسرب ويتسلل إلى قلبها الذي أصبح مضغة سوداء بفعل الأوجاع المتراكمة.

بناء على ما سبق، تتخبط (بلانكا) بين نقيضين: حضور البياض كرمز، وثقل السواد في الواقع، ويحيل ذلك إلى تجسيد حي لصراع الهويات وتضاربها في سياق مثقل بالتمييز العنصري، الذي حال دون تحقيق ذاتها والعيش بسلام داخلي وطمأنينة.(1)

والمجتمع الذي نشأت فيه (بلانكا) عانى من الطبقية، التي قذفت بأصحاب البشرة السوداء إلى أسفل طبقات المجتمع، ورسخت صورة نمطية تختزلهم في منزلة دنيا، حيث تقول: **"في هذه المدينة، كنا نتأمل وحدتنا، وغربتنا عن الآخرين ونشعر بخوفهم الاقتراب منَّا... وأحيانًا معاملاتهم تكون قاسية معنا نحن الغرباء."**(2)وبهذا تتشكّل صورة (بلانكا)، فتصبح في موضع تساؤل وشك في أعين محيطها، أما قبول وتصديق حضورها الإنساني فهو أمر مشروط ومؤجل. لقد عاشت طوال عمرها تحت وطأة هذا التصنيف القبلي، سجينة لمكانة ومنزلة لم تختارها، حتى سعت في التحرر منها، وانتزاع المكانة التي تستحقها ومن أجلها دفعت عمرها ثمنًا لها، فهي لا تستجدي القبول، بل تُقر بحقها فيه بتمسكها بما هو منبوذ عند غيرها، لتخبر أن انتماءها لا يكتنز في سواد مجتمعي، بل يتشكل من مقاومة واعية لصورته الجاهزة.

وفي موضع آخر تقدم (بلانكا) مشهدًا حيًا مؤلمًا لواقع المرأة الإفريقية، ويعد إبرازًا للإيتوس القبلي من خلال البيئة القاسية التي تصفها (بلانكا)، حيث تقول: **"نساء يحملن صغارهن على ظهورهن، ذهابا وإيابا، حسب الحاجة، كل واحدة تمد الحبل في قعر البئر، وصغيرها مربوط فوق ظهرها، ثم تسحب الدلو المملوء بالماء حتى تتقطع أنفاسها أو تكاد، منها مياه للشرب، ومنها لإعداد الطعام، او لغسل الأواني والملابس أو للاستحمام... ننتظر الطابور الذي لا ينتهي، وفي الغالب يفضي الانتظار الممل إلى مشاحنات بيننا."**(3)هذا المشهد لا يمنح القارئ مجرد انطباع مسبق عن المعاناة، بل يعطي ويرسخ انطباعًا قبليًا عن حجم القهر الذي وُلدت فيه المرأة الإفريقية، ومدى المشقة اليومية، كحمل الأطفال أثناء العمل، وانتظار الماء الملوث، يعكس واقعًا قاسيًا ويؤسس لإيتوس قبلي يقوم على الألم الجماعي والمثابرة الأنثوية في مواجهة واقع لا يلين، ويمنح صوت (بلانكا) شرعية أخلاقية تنبع من واقعها المأساوي، ويمنحها تعاطفًا فوريًا.

وقد تجلى الإيتوس القبلي في علاقة (بلانكا) بابنتها (أفريقيا)، حيث تقول: **"عندما تصبحين أمًا تتألمين، ولكن أكثر ألم لا يطاق على وجه الأرض أن تكوني امرأة لم تعرف كل هذه الآلام ألما.....ألما... كان يمتلكني شعور غريب نحوها، وهي ترمقني بنظرات غريبة. امتعضت في البداية، ولكن مع مرور الوقت فهمتُ قصدها، إذ كان بريئًا وصرنا صديقتين، جمعتنا نفس الآلام. وقتها، نظرت إلى صغيرتها الهادئة بجانبها وهي تلعب بالتراب وداخلي يعتصر من أجلها ألمًا ولساني يتمتم: أمٌ في هذه السن، هي لا تزال بحاجة إلى حنان الأم."**(4)تصور لنا (بلانكا) من هذا المشهد تداخل الخوف من الإرث الثقافي الأليم مع الحنان الأمومي؛ ليشكل خطابًا حجاجيا يستند إلى تجربة (بلانكا) ومعاناتها كأساس أخلاقي للموقف، فـ(بلانكا) لا تكتفي بوصفها للألم الذي عاشته، بل تجعل منه مرتكزًا أخلاقيًا في خطابها، وبهذا، فالإيتوس القبلي تجاوز حدود الذات، ليصبح احتجاجًا ضمنيًا ضد منظومة القهر الموروثة، ونداء لحماية الأجيال القادمة من ذات الجراح.

ويتجسد الإيتوس القبلي في السلطة القهرية التي تمارسها العادات والتقاليد على جسد الأنثى منذ الطفولة، حيث تقول(بلانكا) : **"أما اليوم فالحياة هنا قد هزمتني منذ نعومة أظافري وسرقت ابتسامتي كطفلة تعانق الحزن والألم، منذ صرخاتها الأولى على شفرة السكين."**(5) يصور هذا المشهد الظلم المتجذر الذي يمارسه المجتمع ضد الأنثى مما يكسب مصداقية وجدانية وأخلاقية لدى المتلقي، فالانطباع الأولي للقارئ هو التعاطف مع (بلانكا) منذ البداية بسبب الألم الذي وُلدت فيه، فالحياة هزمتها مما يعكس خضوعها المبكر لسلطة مجتمعية لا ترحم؛ بممارستها طقوسًا تقليدية تُفرض على الإناث باسم الشرف أو الطهارة، وهي في الواقع اغتيال للطفولة والبراءة. فقد عاشت (بلانكا) فصولًا من الألم والأوجاع ظلت تطارد ذاكرتها محفورة بصور الدم، تنبعث من خلجات روحها كخيال يتمايل تحت سطوة شفرة كانت شاهدة على وأد طفولتها واغتيال أحلامها الأولى؛ مما يمنحها إيتوسًا قبليًا قويًا قائمًا على الظلم، ومن هنا، يحضر موضع القوة لتمارس العادات والتقاليد عنفها ضد (بلانكا) باسم

(1) ينظر: محنة الذات وتجلياتها في رواية الزنجية لعائشة بنور، وليد عثماني، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، د.م، ع/1، مج/6، 2023م، ص65.
(2) الزنجية، عائشة بنور، ص134-ص135.
(3) السابق، ص11-ص12.
(4) السابق، ص29-ص30.
(5) السابق، ص13.

السلطنة والقوة المستبدة المطلقة، وقد ينتج عن تلك "القوة العنيفة آثار ضارة تتمثل في الآلام، والجروح، والمعاناة، والإحباط، وخيبة الأمل، والانهيار النفسي، والموت، ودمار الخيرات المثمرة المفيدة."[1]

فإن هيمنة العادات والتقاليد، والضغط الذي فرضته الأعراف الاجتماعية بالقوة أرغمت (بلانكا) على البحث عن ملاذ تلجأ إليه خارج حدود مجتمعها مما دفعها إلى اتخاذ قرار الهجرة، حيث تقول: **"كانت الهجرة عن الوطن الأم إلى بلدان أخرى لأسباب سياسية خارجة عن إرادتنا، أو بفعل ظروف اجتماعية، اقتصادية، أو فكرية، أو أمنية، أو بحثًا عن الرزق ورغيف الخبز، تعتبر بداية لمرحلة جديدة بعدما فشلت ثورة الجياع في المكان، وقد حصد الموت والأوبئة الخطيرة الكثير والكثير."**[2]ومن هنا يتجلى الإيتوس الحجاجي القبلي للهجرة ليؤكد موقف (بلانكا) ويبرر قرارها بالرحيل الذي انطلق من خلفية اجتماعية وثقافية تُظهر معاناة (بلانكا) المرأة الزنجية، فقد استحضرت تجاربها الشخصية ومعاناتها؛ لتكسب تعاطف المتلقي وتضفي على خطابها مصداقية، فالإيتوس القبلي هنا يُمهد لفعل الهجرة بوصفه ضرورة وليس خيارًا.

في ضوء ما تقدم، تبرر (بلانكا) قرار رحيلها على مستويات ثلاثة يُعزز من خلالها الإيتوس القبلي بوصفها شخصية تعيسة منذ طفولتها عانت بصمت قبل اتخاذ قرار الرحيل وهذا في المستوى الأول، إذ تقول (بلانكا) في بداية الرواية: **"في أعماقي، كنت أدرك أن كل النساء هنا في النيجر يشعرن بالتعاسة والقهر مثلي تمامًا. تعاسة تنمو رويدًا رويدًا مع نمو أجسادهن الصغيرة، وفي الانتظار شفرة السكين لتكتم صرخاتهن."**[3]

وفي المستوى الثاني تستحضر (بلانكا) طفولتها وذكرياتها البئيسة، إذ تقول: **"فكل شيء فيَّ قد مات بين يدي تلك العجوز حينما كنت مجبرة على الاستسلام لشفرة السكين وهي تبتر جزءًا من أعضائي التناسلية."**[4]في هذا المقطع تتحدث (بلانكا) بلغة عاطفية تُشعر المتلقي بأنها تتحدث من القلب، مما يقوي الإيتوس ويجعل المتلقي مشاركًا وجدانيًا، فقرار الهجرة لدى (بلانكا) هو نتيجة لتراكمات منذ نعومة أظفارها.

أما المستوى الثالث فهو أن الهجرة ليست هروبًا، ولكن تحررًا من القيود، والنبذ، والتمييز **"هذا هو المكان، بالنسبة لي مجرد ذاكرة فردية ترفض الخضوع للماضي الأليم، تريد أن تجتث من واقعها لحظات طويلة للأمل، وروحًا حالمةً لا تلتصق بالدونية والانتقاص، وتأزمات الواقع بصور القمع والإرهاب الذي يغتالنا. المكان مقموع، وشخصياته مقهورة، وتفاعل مأساوي نعيشه يوميًا، وخوف من المجهول يسكننا... وفي مرّات نجد هذا الإنسان المسحوق ينتفض ليصارع المكان، من أجل تحقيق الذات المدمرة بداخلنا وتخطي دروب القهر والعزلة، والبحث عن الآخر المولع بالحياة ودفئها."**[5]وفي هذا المقطع تقدم (بلانكا) الهجرة كاستعادة للكرامة؛ لأنها تستحق حياة أفضل، فالهجرة ليست خيانة للوطن، بل هي فضاء تجد فيه الإنصاف والكرامة ف(بلانكا) تبحث عن ذاتها الحقيقية. وبهذه المستويات الثلاثة تبرر (بلانكا) قرار هجرتها.

ثانيًا: تجليات الإيتوس الخطابي في الرواية:

هي الصورة التي يقدمها المتكلم عن نفسه للسامع في خطابه،[6]ويرتبط موضعه بالخطيب المرسل الذي يرسل رسالته الحجاجية إلى المخاطب من أجل التأثير فيه أو إقناعه أو جعله يقتنع بما يوجه إليه من رسائل ومقصديات مباشرة وغير مباشرة.[7]

ففي البداية، نلمح القهر والظلم الذي لاقته (بلانكا) وبرز في لغتها وأسلوبها في التعبير عن معاناتها ومواقفها في مواجهة الظلم، ومحاولتها للهروب من واقعها نحو حياة أفضل "فالهدف من الحجاج ليس تدقيق بعض الجهات المنطقية للقضايا، بقدر ما هو توفير الوسائل المفضية إلى إقناع الجمهور وحمله على التصديق بالتنويع في ضروب التعبير عن الفكرة."[8]

وعليه، فالإيتوس الخطابي يقوم على وظيفتي التأثير والإقناع، ويتوجه إلى الجمهور السامع بقصد توجيهه أو إقناعه إيجابًا أو سلبًا، ولا يحصل ذلك إلا حينما يهيأ المستمعون ويستميلهم القول الخطابي، حتى يشعروا بانفعال ما، فالأحكام لا تصدر على نحو واحد حسبما نشعر باللذة أو الألم، والحب والكراهية، وإنما الخطاب هو الذي ينتج الإقناع حينما يستخرج المتلقي الصحيح والراجح من كل موضوع يحتمل أن يقع الإقناع فيه.[9]

وهذا يقودنا إلى أن الإيتوس الخطابي يكشف لنا عن كيف تبني عائشة بنور مصداقيتها الأخلاقية والفكرية

(1) المواضع الحجاجية بين النظرية والتطبيق: نحو مقاربة طوبيقية، جميل حمداوي، ص197.
(2) الزنجية، عائشة بنور، ص55.
(3) السابق، ص19.
(4) السابق، ص28.
(5) السابق، ص56.
(6) ينظر: الإيتوس أو بناء الهوية في الخطاب، جورجيانا بوربيا، تر: أحمد الوظيفي، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، المغرب، 2019م، ص3. مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث
(7) ينظر: المواضع الحجاجية بين النظرية والتطبيق: نحو مقاربة طوبيقية، جميل حمداوي، ص190.
(8) الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، عبد الله صوله، حمادي صمود (مشرف) مجموعة من الباحثين، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، تونس، د.ط، د.ت، ص322.
(9) ينظر: فن الخطابة، أرسطو، تر: عبد القادر قنيني، (أفريقيا) الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2008م، ص16.

أمام المتلقي، وكيف تُقنعه بقضاياها من خلال شخصية الراوي، واللغة، والسياق الثقافي. فمن ناحية الراوي نلحظ ضمير الأنا، هو الضمير الذي تروي به (بلانكا). وهي الشخصية الروائية الواقعية في الزمن الحاضر، الذي هو زمن السرد. عن أحداث وشخصيات تقع في الزمن الماضي، الذي هو زمن الحكاية، فهي توهم القارئ بأن الرواية ضرب من السيرة الذاتية،[1]أو المذكرات التي تعبر فيها (بلانكا) عن مدى المعاناة والقهر والألم الذي عاشته محاولة إقناع المتلقي بواقعية ما مرت به من أحداث، وشخصيات، وأمكنة، وأزمنة.

واللافت للانتباه، سيطرة ضمير الأنا منذ السطور الأولى من رواية الزنجية، الذي يأتي على لسان (بلانكا) وهي الراوي الأول، وهيمنته على معظم بنية السرد فيها، وبروز ضمير الغائب، وضمير المخاطب أثناء المشاهد الحوارية المتفرقة. ومن المقاطع التي استعانت فيها (بلانكا) بضمير الأنا: **"هنا الطبيعة قاسية، وفي هذا المكان، ارتبطت ملامحي بأشياء أكثر قسوة، وأشدها حزنًا. ثمة أشياء لا يمكن نسيانها أو محوها، ولا أذكر منها إلا أنني سوداء البشرة، فأنا جميلة. مقولة أرددها بكثير من الحب والحزن، وعند وجعي أقولها بكبرياء. وانا أجر قدميَّ المتهالكتين صوب البئر، كنت منهكة ومتعبة."**[2]

وفي موضع آخر تقول (بلانكا) : **"اليوم، أنا الطفلة الصغيرة الكبيرة التي نضجت قبل أوانها، أحمل في مخيلتي مفاهيم جديدة للحياة تعلمتها فقط، في لحظة رعب بين يديّ العجوز حين قالت لي ذات يوم: أنت الآن امرأة، لا أحد سيقترب منك؟! كانت تلك أول مرة أرى فيها وجه فريكي، رجلًا خجولًا، قد جاء من زمن آخر، رغم أنه يعرف المنطقة بعاداتها وطقوسها، لكنه كان رجلًا بحاجة إلى الحب مني، والذي فقدته مع شفرة السكين."**[3]

وتماشيًا مع ما تم ذكره، فضمير الأنا هو الأكثر التصاقًا بالشخصية الروائية، ليوحي بواقعية ما يجري، ويقنع القارئ كي يتعاطف -فنيًا- مع مرارة التجربة الشخصية[4]التي مرت بها (بلانكا)، الذي يعبّر عن الصوت الداخلي المليء بالمعاناة، ويُظهر (بلانكا) تتحدث من تجربة حقيقية وجودية؛ وهذا يمنحها سلطة أخلاقية قوية، لا يمكن للقارئ أن يشكك في صدقها، بل يتعاطف معها ويثق في رؤيتها للعالم.

(بلانكا) التي تروي لنا بضمير الأنا عن تجربتها الشخصية ومرارتها، تروي كذلك عن الأحداث التي مرت بها، أو الشخصيات التي عاشت بصحبتها، ومن ذلك ما كانت تلاحظه بعينيها على حياة النساء في مشهد يتكرر كل يوم على الرغم من بساطته إلا أنه مشحون بالمعاناة والجهد والألم، وهن يتكبدن العناء ليوفرن لأنفسهن وأطفالهن الماء، حيث تقول: **"نساء يحملن صغارهن على ظهورهن، ذهابا وإيابا، حسب الحاجة، كل واحدة تمد الحبل في قعر البئر، وصغيرها مربوط فوق ظهرها، ثم تسحب الدلو المملوء بالماء حتى تتقطع أنفاسها أو تكاد، منها مياه للشرب، ومنها لإعداد الطعام، او لغسل الأواني والملابس أو للاستحمام... ننتظر الطابور الذي لا ينتهي، وفي الغالب يفضي الانتظار الممل إلى مشاحنات بيننا."**[5]فهي ملاحظة تنطلق من عيني (بلانكا) على اعتبار أنها الشخصية الراوية والرئيسة في بنية الرواية ليس لأنها "تُرى في المركز، ولكن فقط، لأننا -من خلالها- نرى الشخصيات الأخرى، ومعها نعيش الأحداث المروية"[6]فـ(بلانكا) تظهر كشخصية شاهدة على واقع قاس ليست فقط متفرجة، بل معانية مع تلك النساء وهي جزء منهن وهذا يمنحها مصداقية أخلاقية قوية تقنع بها المتلقي، ويضفي على الخطاب طابعًا تضامنيا.

ومن ملاحظات (بلانكا) وما كانت تستنكره من السلوك المشين غير الإنساني الذي يُمارس على الفتيات وكان يثير قلقها ويزعجها وترفضه، حيث تقول: **"في أعماقي، كنت أدرك أن كل النساء هنا في النيجر يشعرن بالتعاسة والقهر مثلي تماما. تعاسة تنمو رويدًا رويدًا مع نمو أجسادهن الصغيرة، وفي الانتظار شفرة السكين لتكتم صرخاتهن."**[7] وفي موضع آخر تقول (بلانكا) **: "ذلك اليوم النازف شهد، من جهة، ختان العديد من الفتيات الصغيرات...وهنَّ يبكين بحرقة شديدة، ويصرخن صراخًا قويًا يفتت الصخر، كان الوقت صباحًا حينما تعالت أصواتهن ورعشات أجسادهن المبتورة تنزف دما، وهنَّ يصرخن من شدة الألم، ومن جهة أخرى، أذكر صديقتي آيدي التي فرت من بلدها، كانت تخبرنا عند البئر، وهي مرعوبة قائلة: الفتيات الصغيرات تُغتصب من رجال خصصوا لذلك، يسمى الواحد منهم في المناطق المجاورة بالرجل الضبع" أو هكذا كانوا ينادونه."**[8]فهذه المشاهد تعكس (بلانكا) من خلالها معاناة الشخصيات بسبب العنف الاجتماعي والجسدي، فبالإضافة إلى الفقر والجوع وصعوبة الحياة تنكشف المعاناة التي تعانيها

(1) ينظر: تقنيات السرد الروائي: في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1990م، ص95.
(2) الزنجية، عائشة بنور، ص11.
(3) السابق، ص25-ص26.
(4) ينظر: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، آمنة يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط2، 2015م، ص56.
(5) الزنجية، عائشة بنور، ص11-ص12.
(6) تحليل الخطاب الروائي: الزمن- السرد- التبئير، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط1، 1989م، ص289.
(7) الزنجية، عائشة بنور، ص19.
(8) السابق، ص49.

المرأة جراء الممارسات التي يمارسها المجتمع عليهن مثل: ختان البنات، والاغتصاب، وما يصاحبهما من ألم عظيم على الأجساد وحزن وتعاسة في الأنفس، فـ(بلانكا) هنا لا تعبر فقط عن الألم، ولكنها تجسد تجربة خاضتها وبالأصح أُجبرت عليها، وهذا يضفي على الرواية شرعية سردية ويعزز الإيتوس الأخلاقي داخل النص.

وفي موضع آخر من الرواية تبرز لنا ثنائية القبول والرفض، وهي الثنائية التي تمثل فيها (بلانكا) الطرف الأساسي الذي كان يستجيب استجابة عمياء، لكل ما يمارس عليها (الختان) من أعمال دون أن تجرؤ على الرفض أو الاعتراض، تقول (بلانكا) : **"خلال منتصف تلك اللحظة التي كنت فيها بين يدي العجوز مو، شعرت أن الطفلة التي بداخلي قد دفنت وإلى الأبد، وانتحرت أحلامها البريئة مع صوت نعيق البوم الذي يعلن شؤمه في المكان، من حين لآخر...لكن ما أحسسته تلك اللحظة كان رهيبًا، والعجوز مو بأنفها المعقوف تطبع ابتسامة النصر على محياها، ورأسها كالبوم يلتفت يمينا وشمالا كالتي تبحث عن شيء ما، نسيت للحظة تحت شدة صراخي والأخريات أن السكين تحمله في يدها اليسرى، كاشفة عن قبح مخيف يسكن قلبها وصوتها يدندن مع نعيق البوم على صراخنا...ألا تشعر هذه العجوز بما أحس، وهي تمسك بشفرة السكين؟ هل هي فرحة لوجعي؟ أنها تتذكر، الآن، ما جرى لها مثلي من قبل، وكأنها تنتقم مني دون سبب، وتقتل شهوة الأنثى في قبل أن أكبر، أو أنها فقط تتلذذ بتعذيبي؟"**[1]فعلى الرغم من أن (بلانكا) كبرت وتزوجت إلا أنها مازالت تعاني من تأثير الختان على جسدها ونفسيتها، ويتبين ذلك من خلال استخدامها لتعبيرات مثل: **"شعرت أن الطفلة التي بداخلي قد دفنت"** و **"انتحرت أحلامها البريئة"** وكذلك وصفها للعجوز (موُ) بأنها تطبع ابتسامة النصر وشبهتها بالبوم، وهذا يخلق صورة شيطانية لتلك العجوز وذلك الفعل غير الإنساني، وهنا يعزز لإيتوس خطابي يضع (بلانكا) في موقع المظلومة ويعزز من تعاطف القارئ معها.

واللافت للانتباه، استخدام (بلانكا) في المقطع السابق بعض الرموز كـ"نعيق البوم، السكين، الصراخ" كلها توحي بالرعب وانتهاك الإنسانية، وبتخيّر الكاتبة لهذه المفردات تؤكد جسامة الحدث وفداحته، كما تتساءل (بلانكا) باستفهامات تعكس صراعها الداخلي لقبولها هذا الفعل على الرغم من رفضها الداخلي له بقولها: **"ألا تشعر هذه العجوز بما أحس؟"** و **"هل هي فرحة لوجعي؟"** فتكرر الاستفهامات لتحث القارئ على التفكير والتعاطف معها، مما يعزز الإيتوس الخطابي من خلال تقاسم الألم مع المتلقي.

وفي مقابل قبول (بلانكا) يظهر الرفض من تكرار تجربة الختان على أختها فيولا وابنتها (أفريقيا) في قولها: **"وحياة أخرى لا تشبه حياتنا، ولا تشبه جفاف الأرض، وحر السماء، وفوق كل ذلك ستعيش أختي الصغيرة فيولا، وصغيرتي (أفريقيا) بعيدا عن شفرات الحلاقة التي تبتر جزءا من أعضائها التناسلية."**[2]على الرغم من انكسار (بلانكا) ورضوخها لما فُرض عليها من ألم؛ لم يكن ذلك القبول سوى صمت مرّ، فهي لا تريد أن تمتد تلك الشفرة على جسد فيولا وابنتها (أفريقيا)، بل أرادت لهما حياة لا تشبه حياتها، حياة خالية من إرث الألم، والخضوع.

وهكذا، تتجلى ثنائية القبول والرفض لتمنح الخطاب قوة وجدانية ومصداقية عالية، فـ(بلانكا) تتحدث من قلب التجربة، مما يجعل صوتها صوتًا لا يشكك فيه، أو يضعف خطابها، بل يعززه ويمنح خطابها شرعية أخلاقية قوية في رفضها لاحقًا؛ وذلك يعزز لإيتوس خطابي من خلال تضحيتها ورغبتها في تحطيم دائرة الألم، فـ(بلانكا) تعلن في قولها: **"لا تشبه حياتنا"** اختيارها لحياة جديدة تُبنى على القيم الإنسانية لا على الأعراف والعادات الاجتماعية.

ومن ثنائية القبول/الرفض السابقة، تتفرع ثنائية الموت أو الحياة (البقاء/الفرار) ذلك أن الموت هو النهاية المأساوية التي كانت لا بد أن تصل إليها (بلانكا) هي وأسرتها، نتيجة لقبولها للحياة في النيجر، حيث تقول: **"لم نكن ننتمي للحياة، كلنا كنّا ننتمي للموت، سواء نحن الذين بقينا في المكان نترقبه، أو أولئك الذين قرروا الرحيل عنّا، وقطعوا المسافات البعيدة في الصحاري والقفار نحو ضفاف أخرى، حيث يلازمهم الموت في كل لحظة."**[3]فالهجرة هي النتيجة البدهية لفلسفة الرفض، فـ(بلانكا) لا تهرب، بل اختارت الرحيل، لأنها لا تستسلم للموت الحقيقي أو الجسدي، بل تنتصر لحياتها وحياة أسرتها، فقد اختارت الحياة على الموت، ومنحت نفسها السلطة لاتخاذ القرار، فالإيتوس الخطابي تجلى في قرار (بلانكا) بالهجرة وتحول خطابها من الضحية إلى الفاعلة التي اختارت الحياة رغم الألم. حيث تقول: **"كانت الهجرة عن الوطن الأم إلى بلدان أخرى لأسباب سياسية خارجة عن إرادتنا، أو بفعل ظروف اجتماعية، اقتصادية، أو فكرية، أو أمنية، أو بحثا عن الرزق ورغيف الخبز، تعتبر بداية لمرحلة جديدة بعد ما فشلت ثورة الجياع في المكان، وقد حصد الموت والأوبئة الخطيرة الكثير والكثير."**[4]تجدر الإشارة إلى أن الهجرة من مكان بعيد بحثًا عن الألفة المفقودة والحياة الكريمة التي انتفت في المكان السابق (النيجر) والتي بات الانتقال منها ضروريًا.

وعليه، فإن العدالة الاجتماعية التي تصبو إليها

(1) السابق، ص24-ص25.
(2) السابق، ص80.
(3) السابق، ص54-ص55.
(4) السابق، ص55.

(بلانكا) لا بد أن تنتزعها انتزاعًا؛ لأن العدالة عندهم لا تؤخذ إلا بالقوة، لذلك أثرت القوة تأثيرًا كبيرًا في تحديد مفهوم العدل والحق، فلكي ينال الإنسان حقه كان عليه أن يجاهد بنفسه وذوي قرابته وعشيرته للحصول على ما يدعيه من حق ويثبته، وهو لا يحصل في الغالب إلا بتهديد ووعيد وباستعمال القوة. وعلى الرغم من أن المرأة هي مصدر السعادة والأمان ونبع الحنان، إلا أنها هي أساس القوة ومصدرها، فهي دعامة البيت وبها يستقيم. "المرأة القوية تحمل أرق قلب تحيطه بسياج قوي بفكرها وصلابة موقفها هي صاحبة مبدأ تعيش عليه وتحارب من أجله، مرنة بثباتها وثقتها، تعرف نفسها وتسعى بدأب نحو الأفضل متمكنة من قدراتها، تحمي قلبها وروحها بإيمانها بالله وتحفظ جوارحها من الكيد والضغينة."[1]ف(بلانكا) تجمع بين الرقة والصلابة، وبين الوعي والإيمان، وبين المرونة والثبات، لا تنكسر ولا تستسلم، بل تزداد صلابة كلما اشتدت عليها الظروف، حيث تقول: **"في كل صباح، كان لدي خياران، إما أن أتابع النوم مع أحلامي، أو أن أستيقظ وأطاردها في الفيافي فأحلام الماضي لم تعد هي أحلامنا التي نجري خلفها، ونطاردها بين المدن، بل أحلام الحاضر هي التي تدفعنا إلى أحلام جديدة، والتي تبعث فينا رغبة الاستمرار في الحياة."**[2] في هذا المقطع تبرز الاستعارة التي تعد من أقوى العناصر الحجاجية وأقدرها على تقريب الخطاب إلى ذهن المتلقي؛ لما تحمله من خصائص تمكنها من الإفهام وقدرة على الإقناع، ف(بلانكا) تصور أحلامها ككائنات يمكن مرافقتها في النوم ومطاردتها في الواقع في قولها: (أن أتابع النوم مع أحلامي)، أو (أن أستيقظ وأطاردها في الفيافي) وهي بذلك تجسد الصراع بين الطموح والكسل، وهذه الأحلام هي قوة دافعة ومحركة، وتعكس الأمل المتجدد في قولها: (أحلام الحاضر هي التي تدفعنا إلى أحلام جديدة)، فهذه الأحلام تبث الحياة في النفس، وتؤثر بعمق في الروح والمعنويات، (تبث فينا رغبة الاستمرار في الحياة).

ففي هذا المشهد يبرز لنا الصدق الداخلي لدى (بلانكا) والتزامها، حيث يعكس صورتها امرأة قوية ذات مبدأ، وتمتلك رؤية واضحة وواعية للحياة، فهي تشارك المتلقي تجربة يومية مألوفة؛ لتشعره بصدق مشاعرها وتفكيرها العميق، وتقارن بين أحلامها في الماضي والحاضر وهذا يدل على نضجها وعمق فكرها، ويظهر رغبتها الحقيقية في السعي نحو الأفضل، فالإيتوس الخطابي يتمثل في صدق مشاعر (بلانكا) وعمق تفكيرها، ويقنع المتلقي بأنها صاحبة مبدأ فلا تستسلم، وهذا من القيم التي يعززها الإيتوس الخطابي.

وعليه اتخذت (بلانكا) وزوجها (فريكي) قرار الهجرة والرحيل بكل قوة وشجاعة، حيث تقول: **"كان قرار الهجرة قد حُسم في ذهني، وفي ذهن فريكي، في البداية لم أشأ إخبار أمي بالأمر، لأن ذلك سيبدو لها مغامرة كبيرة، وهي التي لم تفكر أبدًا خارج الحيّز وهل هناك حياة أخرى في مكان آخر؟ لكن كلما أرى أختي الصغرى فيولا، أو صغيرتي أفريقيا وما ستتعرضان له مستقبلًا، أعيد التفكير في الأمر وبقوة لتخليصهما من شبح شفرة السكين."**[3]

وفي موضع آخر من الرواية تقول: **"لتبدأ الرحلة الليلية في الخروج من المنطقة إلى نقطتي العبور... موقعان آمنان للهجرة... تشكلان بالنسبة لنا جميعا حياة جديدة وعالما آخر وسنكتشفه."**[4]فتظهر قوتهم في إصرارهم على تغيير حياتهم المشؤومة، والانتقال إلى عالم آخر، وفي داخلهم مجموعة من الأسئلة التي لا يعلمون إجابتها؛ هل سنصل أم لا؟ هل الحياة ستكون هناك أفضل بكثير من حياة النيجر؟ كل هذه الأسئلة تركت لهم علامات استفهام إجابتها عند وصولهم إلى الجزائر، وبعد وصولهم تصور عائشة بنور حالة (بلانكا) وأسرتها وما عانوه من التشرد في شوارع هذه المدينة الكبيرة، تقول في ذلك: **"مرّ أكثر من شهرين ونحن في هذه المدينة، ننام على الأرصفة ونتسول في الطرقات ونتخفى عن أنظار المراقبة."**[5] وتستمر عائشة بنور في تصوير حالتهم تقول: **"تبدأ الرحلة في جنح الظلام، ما كنا نخشاه هو نقاط التفتيش... ووصلنا إلى مدينة البليدة التي كان يتوق فريكي الوصول إليها."**[6]فكل هذه الصور تتعاضد فيما بينها لتخلق ما أرادته (بلانكا) من الكرامة والحرية بعيدا عن العنصرية والاضطهاد، فهذه الصور حشدت الأدوات الفنية اللازمة لرسم إيتوس خطابي كفيل بأن يضمن إذعان المخاطبين -على اختلافهم- وتسليمهم بذات (بلانكا) ليكون تأثير الإيتوس في بقاء كرامتها والحفاظ عليها من العبودية.

وبعد قرار الهجرة نلحظ أن (بلانكا) تشعر بالاغتراب الروحي والجسدي، حيث تقول: **"أعود لنفسي، أن ما كنت أحسه هنا هو غربة الروح والجسد، في حيزي، كنت أشعر فقط بغربة الروح، أما الآن، وفي هذا الحيز الكبير، خارجة كداخلة أو ربما داخلة أكبر من خارجة، مفتوح على نمط أرفضه وبقوة، ففيه أشعر بغربة الروح والجسد معًا."**[7](بلانكا) تبين أنه على الرغم من اتخاذها قرار الهجرة إلا أنها لا تدعي القوة أو اليقين، بل تعترف بشعور الغربة؛ لانفصالها عن مكانها الذي تنتمي إليه، فقد

(1) مدونات الجزيرة نت، إيناس مسلط قنيص، من المرأة القوية، 2022/3/27م، شوهد 2025/11/24م. من موقع: من المرأة القوية؟ | الجزيرة نت
(2) الزنجية، عائشة بنور، ص116.
(3) السابق، ص79.
(4) السابق، ص82.
(5) السابق، ص127.
(6) السابق، ص133.
(7) السابق، ص149.

عانت من سطوة التقاليد في موطنها، كما تألمت من قسوة الحياة مما أفضى إلى انسلاخها عن جسدها وهويتها. ومما سبق، يستوقفنا في هذا المقطع تصوير مرئي يقوم على الاستعارة باحتواء كل معاني الرفض والرضوخ والاستسلام ومعاني التضحية والكفاح، لأجل ضمان إيصالها إلى المتلقي، والقدرة على التأثير فيه وإقناعه، ومن ثم، تصبح الأشياء المجردة محسوسة مدركة، وهذا يبث الحركة والحياة في الجماد، فقولها: "غربة الروح والجسد" هي استعارة تعبر عن الانفصال الداخلي بين (بلانكا) والمحيط الذي تنتمي إليه، وقولها: "الحيز الكبير المفتوح على نمط مرفوض" تصوير للمكان كائنًا حيًّا له سلوك ونمط، وهذا يجعله جزءا من الصراع الداخلي لدى (بلانكا)، وقد كررت الغربة بقولها: "أشعر بغربة الروح والجسد معًا" هنا يعمق الإحساس ويؤكد على شمولية الانفصال، وكأن (بلانكا) لم تعد تجد أي مأوى في أي بعد من أبعادها.

وفي موضع آخر من الرواية (بلانكا) تتغافل عما ارتكز في الطبائع العربية من احتقار الزنوجة التي تعد نقيصة على لسان الناس، فترددها (بلانكا) باعتبارها ميزة واستراتيجية حجاجية ذكية في إضعاف أثر التصور المسبق، واعتناق التصور الحديث أو على الأقل احترامه.[1] حيث تقول: **"لأنني سوداء، فأنا جميلة"**[2] فتكرارها هذه العبارة حقيقة ظاهرة جديرة بالافتخار بها، وهذا من تنزيل المنكر منزلة غير المنكر، وهو من أقدم الاستراتيجيات البلاغية في مواجهة الإنكار بعدم الاعتداد به.[3] فالتكرار يساعد أولا على التبليغ والإفهام، ويعين المتكلم، ثانيًا على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان، فإذا ردد المجتمع فكرة حجة ما؛ أدركت مراميها، وبانت مقاصدها، ورسخت في ذهن المتلقي.[4] فهذه العبارة ليست وصفًا، بل تعلن (بلانكا) بها وجودها وتعيد تعريف الجمال وفق تجربتها الشخصية، لا وفق نواميس خارجية مفروضة، بل نابعة من وعيها الذاتي ورفضها للعنصرية، فليس لكونها زنجية تتعرض لكل ذلك الاضطهاد والظلم، بل من حقها أن تعيش حياة كريمة كونها إنسانة، ف(بلانكا) لا ترفع الراية البيضاء بالاستسلام، بل لديها طموحات وتطلعات كثيرة، وهي بذلك تعزز الإيتوس الخطابي بإصرارها على الحقيقة الذاتية، وبخطابها تفرض هذه الحقيقة وتسعى لتحققها؛ لترى وجه الحياة المشرق السعيد وتعيشه.

ويعني هذا أن (بلانكا) حولت ذلك الضعف إلى قوة، وتحدت الصعوبات وحاولت تجاوز العقبات "جميل أن يحول الإنسان الضعف إلى قوة، والشعور بالدونية والنقص إلى عامل تحفيز على التحدي، وتجاوز الصعاب والعقبات رغم الألم والوجع ورغم كل شيء، ولعل في تسمية الزنجية نفسها نوعا من المفارقة التي تستدعي التأمل والتفكير العميق، فهي زنجية، ولكنها جميلة، وفوق ذلك اسمها (بلانكا) وهي مفارقة أخرى تجعل في التسمية مفارقة مركبة."[5]

ثالثًا: تمظهرات الأنساق الثقافية في الرواية:

ولا غرو، أن رواية الزنجية قد جاءت غنية بالأنساق الفكرية، والثقافية، والاجتماعية المتعددة، إذ صورت المجتمع الإفريقي من عدة زوايا، كـ: الزنوجة، والعادات والتقاليد، والمكان، والهجرة غير الشرعية. وعكست مدى هشاشة المجتمع الإفريقي ثقافيا ودينيا وسياسيًا. وقد أضفت عائشة بنور بعدًا رمزيًا على الرواية في استحضارها مقولة ليوبولد سنغورمن قصيدته: امرأة سوداء: **"لأنني سوداء، فأنا جميلة"**[6] لتجسيد هوية الإنسان الأسود، ف(بلانكا) لا تجد ما يميزها عن الآخرين سوى زنجيتها، التي تحولت من مصدر ألم إلى رمز للاعتزاز والتفرد والتميّز، فقد أعادت توظيف هذا الموروث الذي يُنظر إليه في بعض المجتمعات على أنه منقصة، بطريقة إيجابية يجعلها متفردة عن غيرها.

واللافت للانتباه، أن عائشة بنور تناولت موضوع "الختان" وكشفت عن آثاره السلبية والمدمرة على جسد المرأة ونفسيتها وعقلها، وما يترتب على ذلك من تشويه لهويتها الإنسانية. وكشفت عن نسق العادات والتقاليد المتجذر في المجتمع الإفريقي مقارنة بالمجتمعات الأخرى، مؤكدة على ضرورة مساءلة هذه الموروثات ومحاكمتها التي تُمارس باسم الهوية بينما هي في الواقع تترك أثرا وندوبا عميقة في الذات الأنثوية.

لم تغفل عائشة بنور في رواية الزنجية تناول قضية الهجرة غير الشرعية التي يعاني منها الكثير من الأفارقة، حيث عرضت جذورها المتشابكة التي تتظافر فيها عوامل متعددة، أبرزها: غياب الاستقرار السياسي، واندلاع الحروب الأهلية، إضافة إلى العامل الأشد تأثيرًا وهو الفقر وتدني مستوى المعيشة. فهذه الظروف القاسية دفعت الإنسان الإفريقي إلى التطلع نحو حياة أكثر كرامة وعزة، فيقرر مغادرة وطنه دون أن يفكر فيما قد يواجهه من مخاطر أو عواقب، مدفوعا بأمل يتجاوز حدود الجغرافيا وربما يصطدم بواقع أكثر قسوة.

---

(1) ينظر: الحجاج بالإيتوس في شعر عنترة بن شداد، مجلة الدراسات العربية، نداء ثابت الحارثي، كلية دار العلوم، جامعة المنيا،ع/4، مج/46، 2022م، ص1809.

(2) الزنجية، عائشة بنور، ص50، ص52، ص78.

(3) ينظر: الحجاج بالإيتوس في شعر عنترة بن شداد، نداء ثابت الحارثي، ص1809.

(4) ينظر: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008م، ص168.

(5) قراءة نقدية في رواية الزنجية للجزائرية عائشة بنور، عبد الله لا لي، 20 فبراير، 2021م. شوهد 2025/11/24م في موقع:
https://www.hassadlhibr.net/?p=11798 قراءة نقديّة في رواية "الزنجيّة"للروائيّة الجزائريّة عائشة بنّور – حصاد الحبر

(6) ديوان: غناء الظل، ليوبولد سنغور، دار سوي، باريس، 1945م.

أما النسق السياسي، فعلى الرغم من الثروات الطبيعية التي تزخر بها هذه الدول الإفريقية وما تمتلكه من مؤهلات بشرية وموارد قادرة على توفير حياة كريمة لشعوبها، إلا أن العدالة المنشودة تبقى بعيدة المنال، ولا تتحقق كما ينبغي، فقد وصفت عائشة بنور في روايتها هذا الواقع المؤلم، والوضع الاقتصادي المزري، إلى جانب الآثار الخطيرة لتلوث المياه، بقولها: **"هذه المياه لها نصيب كبير في الإسهال الذي قد يصيب الأطفال من جراء تلوثها، أو من البرك الراكدة، أو مياه نهر النيجر غير الصالحة للاستهلاك ومع ذلك نلجأ إليها بسبب حاجتنا الماسة لها. هي حقا معاناة لا تنتهي، والقوة لاتكفي... مدينة المناجم، وأرض الذهب، أصبحت منطقة موبوءة..."**[1] نتيجة لتضافر عوامل اقتصادية واجتماعية وبيئية جعلت معظم الدول الإفريقية تواجه تحديات جسيمة ممثلة في الفقر والمرض والموت، بل الهلاك رغم ما تزخر به من ثروات طبيعية هائلة كان من الممكن أن تضمن لهم حياة كريمة. ولكن المفارقة المؤلمة أننا نرى هذه الشعوب تعيش تهميشا بائسا مع امتلاكها هذه الموارد الطبيعية **"نملك من الموارد الطبيعية والبشرية ما يجعلنا في مصاف الدول المتقدمة، لكن...؟"**[2]

أما فيما يتعلق بنسق المكان، فقد أظهرت عائشة بنور مدى العلاقة العميقة التي تربط (بلانكا) بالمكان، حيث أصبح له دلالات ومفاهيم وجودية، فقد تحول المكان إلى فضاء خال من الحياة، لا يحمل أي معنى سوى الغربة والفراغ، مما يعكس شعور (بلانكا) بالانفصال عن مكانها، ويجسد أزمتها الداخلية في البحث عن الذات والانتماء، **"المكان، جغرافيا موجود، وبمفهوم الذات والحياة أعتبره غير موجود، هذا الفضاء الذي يكتنفه البوح والتذكر تحول إلى شيء مبهم عندي، أسراره موغلة في عبق التاريخ."**[3]

3 الخاتمة:

يمكن القول: إن رواية الزنجية لعائشة بنور استطاعت أن تصور معاناة الإنسان الإفريقي ولا سيما المرأة، وتنقل رحلة الزنجية في عالم البؤس والشقاء، من خلال (بلانكا) التي جسدت معاناة المرأة الإفريقية بصوت صامت لكنه نافذ، وبخطاب حجاجي ارتكز على الإيتوس القبلي والخطابي. وقد نجحت عائشة بنور في بناء خطاب حجاجي مؤثر ومقنع، يستند على مرارة التجربة، وعمق الألم، والسعي نحو الكرامة بعيدًا عن التعصب الإيديولوجي والتميز العرقي.

وقد تبلور الإيتوس القبلي ل(بلانكا) في ثلاثة ملامح مركزية: سوادها، واضطهادها، وهجرتها، جعلت المتلقي أكثر تقبلا لخطابها؛ لما فيه من صدق وتجذر في الواقع. أما الإيتوس الخطابي فقد جاء معززًا لهذه الملامح، مستندًا إلى مفردات العبودية، والرفض، والقوة، والهجرة، لتتعاضد وتشكل معًا آليات فعالة للإقناع والاستمالة، بالاعتماد على حجتي القوة والقيم، في مجتمع يقدس القوة ويعظمها ويمنحها شرعية التأثير، ف(بلانكا) لم تكن مجرد شخصية روائية، بل تحولت إلى رمز للمرأة الإفريقية التي تبحث عن كرامتها وسط عالم يرفضها للونها، وجنسها، وموقعها الجغرافي.

من أبرز النتائج المستخلصة:

- -فعالية الإيتوس الحجاجي القبلي: السواد، الاضطهاد، الهجرة، والخطابي: العبودية، القوة، الرفض، الاستمالة، مما عزز التأثير والإقناع في خطاب (بلانكا).
- تصوير النظرة الدونية التي تحكم علاقة الزنجي بالآخر.
- تحكم النسق السياسي المتحكم في مصير الدول الإفريقية، والكشف عن هشاشته رغم امتلاكها الثروات.
- سطوة العادات والتقاليد التي تحكم المجتمع الإفريقي خاصة التي تمارس على المرأة.
- تجسيد معاناة الهجرة غير الشرعية خيارًا قسريًا للبحث عن حياة كريمة.
- تحويل الزنوجة من منقصة إلى مصدر فخر، عبر استدعاء بعض المقولات.
- أبرزت عائشة بنور صوت المرأة الإفريقية بوصفه صوتا واعيا، ومقاوما، ورافضا، وقادرا على التعبير عن ذاته ورفض الواقع المرير.

(1) الزنجية، عائشة بنور، ص12.
(2) السابق، ص20.
(3) السابق، ص55.

ومن أبرز التوصيات:

1. تعميق الدراسات النقدية حول الإيتوس الحجاجي، خاصة في الأعمال التي تتناول قضايا الهُوية والتمييز العرقي.
2. تحويل الزنوجة من منقصة إلى قيمة رمزية في الدراسات الثقافية، وإبرازها كعنصر فخر واعتزاز بالهُوية، لا كوصمة عار اجتماعية.
3. توظيف الأدب كأداة للتوعية بحقوق الإنسان والكرامة الإنسانية، بعيدًا عن التعصب والتمييز العرقي.

اسم الباحث:

د.نورة بنت عبد الله بن إبراهيم العمر

أستاذ الأدب والنقد المساعد، قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية

سعودية الجنسية

البريد الإلكتروني: noralomar@ksu.edu.sa

من الأعمال المؤلفة المنشورة:

-كتاب بعنوان: الماورائيات في الرواية العربية-مقاربة تأويلية لنماذج مختارة

دار ملامح، الشارقة، 2025م.

-كتاب بعنوان: البلاغة في وصف يوم القيامة في القرآن الكريم

دار ملامح، الشارقة، 2022م.

4 قائمة المصادر والمراجع:

الإيتوس أو بناء الهوية في الخطاب، جورجيانا بوربيا، تر: أحمد الوظيفي، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط- المغرب، 2019م.

الإيتوس: المفهوم والتحولات، كمال الزماني، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، مراكش، المغرب، ع/9، مج/4، 2021م.

البلاغة القديمة، رولان بارت، تر: عبد الكريم الشرقاوي، مطبعة النجاح، المغرب، ط1، 1994م.

تحليل الخطاب الروائي: الزمن- السرد- التبئير، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط1، 1989م.

تقنيات السرد الروائي: في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1990م.

تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، آمنة يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط2، 2015م.

الحجاج بالإيتوس في شعر عنترة بن شداد، نداء ثابت الحارثي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، المجلد/46، العدد/4، 2022م.

الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008م.

الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، أمنية الدهري، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2010م.

الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، عبد الله صولة، حمادي صمود (مشرف) مجموعة من الباحثين، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، تونس، د.ط، د.ت.

خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مقاربة بلاغية حجاجية، محمد مشبال، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015م.

الزنجية، عائشة بنور، دار ريادة للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1443هـ، 2021م.

سيمياء العنوان، بسام موسى قطوس، وزارة الثقافة، الأردن، ط1، 2001م.

صورة المرأة في رواية "الزنجية" لعائشة بنور، نهاد جابر، وزعرة عبان، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2022،2021م.

الفلسفة والبلاغة: مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، عمارة ناصر، دار الاختلاف العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009م.

فن الخطابة، أرسطو، تح: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ط1، 1979م.

في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطاب، محمد مشبال، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2018م.

في تحليل الخطاب، حاتم عبيد، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، 2013م.

قراءة نقدية في رواية الزنجية للجزائرية عائشة بنور، عبد الله لالي، 20 فبراير، 2021م.

قضية الزنوجة وسؤال الأنساق الثقافية في النص الروائي الجزائري المعاصر رواية "الزنجية" لعائشة بنور أنموذجًا، بلي نعيمة، مجلة الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق يحي، المجلد 11، العدد 2، 2021م.

محنة الذات وتجلياتها في رواية الزنجية لعائشة بنور، وليد عثماني، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة سطيف، الجزائر، المجلد 6، العدد 1، مارس 2023م.

مشكلات الحجاج بواسطة الإيتوس: من البلاغة إلى تحليل الخطاب، دومينيك مانجينو، تر: حسن المودن، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، دار كنوز، الأردن، ط2، 2016م.

معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود وآخرون، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2008م.

من المرأة القوية، إيناس مسلط قنيص، مدونات الجزيرة نت 2022/3/27م.

المواضع الحجاجية بين النظرية والتطبيق: نحو مقاربة طوبيقية، جميل حمداوي، دار ركاز للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، 2022م.

النظريـة الحجاجيـة مـن خلال الدراسـات البلاغيـة والمنطقيـة واللسـانية، دار الثقافـة للنشـر والتوزيـع، الـدار البيضـاء، المغـرب، ط1، 2005م.

:List of sources and references. 1-4

Al'ytws aw binā' al-huwīyah fī al-khiṭāb (in Arabic), jwrjyānā bwrbyā, tara: Aḥmad al-waẓīfī, Mu'minūn bi-lā ḥudūd lil-Dirāsāt wa-al-Abḥāth, 2019.

Al'ytws : al-mafhūm wa-al-taḥawwulāt, Kamāl al-zamānī, Majallat al-Ādāb wa-al-lughāt wa-al-'Ulūm al-Insānīyah, Marrākush, al-Maghrib, 'A / 9, Majj / 4, 2021m.

al-Balāghah al-qadīmah(in Arabic), Rūlān bārt, tara: 'Abd al-Karīm al-Sharqāwī, Maṭba'at al-Najāḥ, al-Maghrib, Ṭ1, 1994.

Taḥlīl al-khiṭāb al-riwā'ī: alzmn-alsrd-altb'yr(in Arabic), Sa'īd Yaqṭīn, al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, Bayrūt wa-al-dār al-Bayḍā', Ṭ1, 1989.

Tiqniyāt al-sard al-riwā'ī: fī ḍaw' al-manhaj al-binyawī (in Arabic), Yumná al-'Īd, Dār al-Fārābī, Bayrūt, Ṭ1, 1990m.

Tiqniyāt al-sard fī al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq (in Arabic), Āminah Yūsuf, al-Mu'assasah al-'Arabīyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, Lubnān, ṭ2, 2015.

al-Ḥajjāj bāl'ytws fī shi'r 'Antarah ibn Shaddād (in Arabic), Nidā' Thābit al-Ḥārithī, Majallat al-Dirāsāt al-'Arabīyah, Kullīyat Dār al-'Ulūm, Jāmi'at al-Minyā, D. ṭ D. t.

al-Ḥajjāj fī al-shi'r al-'Arabī al-qadīm min al-Jāhilīyah ilá al-qarn al-Thānī lil-Hijrah: binyatuhu wa-asālībuh (in Arabic), Sāmiyah al-Duraydī, 'Ālam al-Kutub al-ḥadīth, al-Urdun, Ṭ1, 2008.

al-Ḥajjāj wa-binā' al-khiṭāb fī ḍaw' al-balāghah al-Jadīdah (in Arabic), Umniyah al-Dahrī, Sharikat al-Nashr wa-al-Tawzī' al-Madāris, al-Dār al-Bayḍā', Ṭ1, 2010.

al-Ḥajjāj: aṭrh wa-munṭalaqātuhu wa-taqniyātuh min khilāl Muṣannaf fī al-Ḥajjāj (in Arabic), 'Abd Allāh Ṣūlah, Ḥammādī Ṣammūd (Musharraf) majmū'ah min al-bāḥithīn, Jāmi'at al-Ādāb wa-al-Funūn wa-al-'Ulūm al-Insānīyah, Kullīyat al-Ādāb, Tūnis, D. Ṭ, D. t.

Khaṭṭāb al-akhlāq wa-al-huwīyah fī Rasā'il al-Jāḥiẓ, muqārabah balāghīyah ḥijājīyah (in Arabic), Muḥammad Mashbāl, Dār Kunūz al-Ma'rifah, 'Ammān, Ṭ1, 2015.

al-Zinjīyah (in Arabic), 'Ā'ishah Bannūr, Dār riyādah lil-Nashr wa-al-Tawzī', Jiddah, ṭ2, 1443h, 2021.

Sīmiyā' al-'Unwān (in Arabic), Bassām Mūsá Qaṭṭūs, Wizārat al-Thaqāfah, al-Urdun, Ṭ1, 2001.

Ṣūrat al-mar'ah fī riwāyah "al-Zinjīyah" li-'Ā'ishah Bannūr (in Arabic), Nihād Jābir, wz'rh 'Abbān, Risālat mājistīr, Jāmi'at qāṣdy mrbāḥ Warqalah, Kullīyat al-Ādāb wa-al-lughāt, al-Jazā'ir, 2021, 2022.

al-Falsafah wa-al-balāghah: muqārabah ḥijājīyah lil-khiṭāb al-falsafī (in Arabic), 'Imārah Nāṣir, Dār al-Ikhtilāf al-'Arabīyah lil-'Ulūm Nāshirūn, Bayrūt, Ṭ1, 2009.

Fann al-khaṭābah (in Arabic), Arisṭū, tḥ: 'Abd al-Raḥmān Badawī, Wakālat al-Maṭbū'āt, al-Kuwayt, Dār al-Qalam, Bayrūt, Ṭ1, 1979.

Fī Balāghat al-Ḥajjāj: Naḥwa muqārabah balāghīyah ḥijājīyah li-taḥlīl al-khiṭāb (in Arabic), Muḥammad Mashbāl, Dār Kunūz al-Ma'rifah, 'Ammān, Ṭ1, 2018.

Fī taḥlīl al-khiṭāb (in Arabic), Ḥātim 'Ubayd, Dār Ward al-Urdunīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī', al-Urdun, 2013.

Qirā'ah naqdīyah fī riwāyah al-Zinjīyah lljzā'ryh 'Ā'ishah Bannūr (in Arabic), 'Abd Allāh Lālī, 20 Fabrāyir, 2021.

Qaḍīyat alznwjh wa-su'āl al-ansāq al-Thaqāfīyah fī al-naṣṣ al-riwā'ī al-Jazā'irī al-mu'āṣir riwāyah "al-Zinjīyah" li-'Ā'ishah Bannūr unamūdhajan (in Arabic), Balī Na'īmah, Majallat al-Ādāb wa-al-lughāt, Jāmi'at Muḥammad al-Ṣiddīq Yaḥyá, al-mujallad 11, al-'adad 2, 2021.

Miḥnat al-dhāt wa-tajalīyātuhā fī riwāyah al-Zinjīyah li-'Ā'ishah Bannūr (in Arabic), Walīd 'Uthmānī, Majallat al-qāri' lil-Dirāsāt al-adabīyah wa-al-naqdīyah wa-al-lughawīyah, Jāmi'at Siṭīf, al-Jazā'ir, al-mujallad 6, al-'adad 1, Mārs 2023.

Mushkilāt al-Ḥajjāj bi-wāsiṭat al'ytws : min al-balāghah ilá taḥlīl al-khiṭāb (in Arabic), Dominique mānjynw, tara: Ḥasan al-Mawdin, ḍimna Kitāb al-Taḥlīl al-Ḥajjājī lil-khiṭāb, Dār Kunūz, al-Urdun, ṭ2, 2016.

Mu'jam taḥlīl al-khiṭāb (in Arabic), bātryk shārwdw, Dominique mnghnw, tara: 'Abd al-Qādir al-Mahīrī, Ḥammādī Ṣammūd wa-ākharūn, al-Markaz al-Waṭanī lil-Tarjamah, Tūnis, Ṭ1, 2008.

Min al-mar'ah al-qawīyah (in Arabic), Īnās Musallaṭ Qunayṣ, mudawwanāt al-Jazīrah Nit 27/3 / 2022.

al-Mawāḍi' al-ḥijājīyah bayna al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq: Naḥwa muqārabah ṭwbyqyh (in Arabic), Jamīl Ḥamdāwī, Dār rkāz lil-Nashr wa-al-Tawzī', al-Urdun, D. Ṭ, 2022.

al-Naẓarīyah al-ḥijājīyah min khilāl al-Dirāsāt al-balāghīyah wa-al-manṭiqīyah wa-al-lisānīyah, Dār al-Thaqāfah lil-Nashr wa-al-Tawzī', al-Dār al-Bayḍā', al-Maghrib, Ṭ1, 2005m.